مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. العدد (٢٥)١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. مجلة علمية محكمة. جامعة قطر

نظرية السعادة عند الفارابي

تأليف

د. عبد الله محمد عبد الله إسماعيل

المدرس بقسم العقيدة والفلسفة

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالزقازيق

جامعة الأزهر

ملخص البحث

يعرض البحث لنظرية السعادة باعتبارها المحور الرئيسي لفلسفة الفارابي والغاية التي طمح لتحقيقها من وراء مشروعه الفكري الذي قدمه لنا في مؤلفاته العديدة وتتلخص السعادة من وجهة نظر الفارابي في محاولة الإنسان ليجرد نفسه من تعلقات المادة بحيث تصير إلى درجة الكمال وهي عندما لا تحتاج في قوامها إلى المادة وهنا تدرك السعادة القصوى في معرفة الله تعالى ، والفارابي يضع لتحقيق هذه الغاية الغالية وسيلة واحدة لكنها شاملة وهي اقتناء الفلسفة والفلسفة هنا عنده لها مفهوم شامل تتناول كل نواحي الحياة وشتى العلوم ، وبقسميها النظري الذي يشتمل على علم التعاليم والعلم الطبيعي وعلم ما وراء الطبيعة ، والعملي بشقيه الأخلاقي والسياسي.

ومن ثم ركز البحث على قراءة فلسفة الفارابي بمختلف موضوعاتها الموجودة في كتبه وربط هذه الموضوعات بنظرية السعادة ، باعتبارها الهدف من وراء هذه الموضوعات أو باعتبار هذه الموضوعات وحدة من وسائل متعددة تندرج كلها تحت عنوان الفلسفة ، ومن هذه الموضوعات نظرية الفيض أو ما يسمى بالعقول العشرة ، وكذا فلسفة الفارابي الأخلاقية ، وكذلك المدينة الفاضلة أو الجانب السياسي عند الفارابي .

Abstract

This paper endeavors to approach al-Farabi's philosophy through presenting his concept of "happiness" as the cornerstone and ultimate goal of his philosophical system . This, in my humble view, is a fresh and an-unprecedented reading of this great muslim philosopher.

The paper will try to achieve its intended goal by discussing many key concepts of al-Farabi's philosophy on politics, ethics, metaphysics, epistemology and the like to demonstrate the above mentioned approach

The paper does not fail to give a comprehensive exposition of the idea of Happiness by explaining its concept as" a human attempt to raise from all materialistic concerns and transform himself spiritually" , which - according to al-Farabi- should be the main function of any philosophy worth the name.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد الذي علم المتعلمين، وأنار السبيل للحائرين، وأخرج الأمة من ظلمات الكفر إلى نور اليقين، وقادها بحكمته لتُحصِّل السعادة العاجلة في الدنيا بين العالمين، ولتنال السعادة القصوى يوم الدين، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد :

فإن القارئ في الفلسفة الإسلامية على وجه العموم والمتأمل فيما كُتِب عن فلسفة المعلم الثاني الفارابي على وجه الخصوص يجد أن هذا الفيلسوف المسلم قد نال شهرته الواسعة مرتبطة بالمدينة الفاضلة أو الجانب السياسي وهو ما يعتبر جانباً واحداً من جوانب فلسفته المتعددة والمتنوعة، بل إننا وجدنا أنه قلما يتناول باحث ما الفارابي بالدراسة إلا ويطرق هذا الموضوع، وكأن هذا الموضوع هو جل فلسفته أو أهم جوانبها.

ونحن إذ نذكر ذلك لا نقلل من شأن الجانب السياسي في فلسفة الفارابي، ولكن نريد أن نقدم طرحاً جديداً لفكر هذا الفيلسوف بحيث ننظر إلى أجزاء فلسفته في مجموعها ونعيد تركيز الضوء من جديد على نقاط أخرى من فلسفته ربما تكون أهم من غيرها، وتكون هي المنطلق لإعادة فهم هذا الفيلسوف مرة أخرى باعتباره صاحب مشروع فلسفي مترابط الأجزاء ينطلق من نقطة واحدة وهي الهدف والغاية التي يريد تحقيقها وتكون هي مركز الدائرة في فلسفته والتي بالطبع ترتبط بالجوانب الأخرى ارتباطاً وثيقاً في مشروع فكري متناسق ومتناغم في كل مجموعي يخدم كل جزء فيه

الأجزاء الأخرى أو ينبني كل جزء فيه على جزء آخر وهكذا كأنه بناء متكامل متـرابط الأطراف.

ولا ينبغي أن نحصر دائرة النظر لفلسفة الفارابي باعتباره مجرد فيلـسوف مـن فلاسفة الإسلام قدم لنا نظرية سياسية فقط في كتابيه "المدينـة الفاضـلة" و "الـسياسة المدنية" متأثراً فيها بفلسفة أفلاطون السياسية من خلال كتابيه "الجمهورية" و"القوانين". أو باعتباره شارحاً لفلسفة أرسطو وصاحب فكرة التوفيق ""الخاطئـة"" بـين أفلاطـون وأرسطو من خلال كتابه "الجمع بين رأيي الحكيمين" ، أو بكونه الموفـق بـين الـدين والفلسفة بالنظر إلى أن هذا جهد سلبي كما يحب أن يفسره البعض، وإن كانت بعـض الآراء تنظر بإيجابية إلى هذه القضية باعتبار أن الفارابي استطاع ببراعة فائقة أن يوجد تناغماً رائعاً بين ثقافتين مختلفتين الثقافة اليونانية والإسلامية[1]، أو نحصر دائرة الحكم عليه بكونه فقط منطقي العرب من خلال كتاباته المتعددة في المنطق "ككتاب البرهان" و "كتاب شرائط البرهان" و "كتاب القياس" و "كتاب الواحد والوحدة" وغيرها أو كمـصنف ومحصٍ للعلوم وذلك من خلال كتابه "إحصاء العلوم" أو كمؤلف في علوم أخرى[2] كعلـم الموسيقى وعلم الفلك وعلم الأخلاق وغيرها ، ولكن ننظر إلى فلسفته بصورة متكاملـة من خلال أجزائها المتنوعة وترابطها مع جزئها الرئيس ، وهذا الجـزء الـرئيس فـي فلسفة "الفارابي" -في رأيي -هو نظرية السعادة فما المقصود بالسعادة؟ وهل فعلاً تعتبر السعادة هي مركز الدائرة لفلسفة الفارابي والتي تتمحور حولها باقي أجـزاء فلـسفته؟ وهل لحياة الفارابي أثر في جعل هذه النظرية الأساس لمشروعه الفلسفي؟ وهـل تـأثر

---

1 قارن د/ مصطفي غالب: الفارابي في سبيل موسوعة فلسفية ص ٩، ص ٣٠ ـ ٣٥، دار ومكتبة الهلال القاهرة ١٩٨٦.

2 ألف الفارابي في علم الموسيقى "كتاب الموسيقى الكبير" وقام بتحقيقه الأستاذ غطاس عبد الملك،.دار الكاتب العربي القاهرة ١٩٧٠، كما كتب في علم الفلك ""رسالة فيما يصح وما لا يصح في أحكام النجوم مطبوع ضمن كتاب المجموع للفارابي دار السعادة القاهرة ط أولى ١٩٠٧. ويراجع في أعمال الفارابي: Black, deborah L.: *Al-Farabi,* p178-179 in Seyyed Hossein Nasr and Oliver Leaman (ed.) *History of Islamic Philosophy,* Routledge London 1996.

الفارابي فيها بالفلسفة اليونانية؟ وهل أثر هو فيمن جاء بعده؟ وهل السعادة عنده مادية مرتبطة بما يشبع الملذات من خيرات وصحة وجمال وسلطة...أم أنها عقلية مرتبطة بما يحقق لذة عقلية من معرفة وعلم...أم أنها روحية مرتبطة بما يبعث على طمأنينة النفس من محبة وشوق وذوق وعشق؟ ثم هل هي لحظية آنية أم أنها دائمة مستمرة؟ وهل هي وليدة الصدفة أم أنها ناتجة عن مجهود؟ وهل هي ممكنة أم مستحيلة ؟ ثم هل هي دنيوية أم أخروية ؟ وهل من الممكن قيام سعادة فردية في غياب سعادة جماعية أم من الضروري تلازمهما ؟

كل هذه الأسئلة وغيرها سيحاول هذا البحث أن يقدم إجابة عنها، ونبدأ بتعريف السعادة وفي تعريف السعادة نتناول المعنى العام للسعادة ثم المعنى اللغوي ثم المعنى الفلسفي للسعادة.

معنى السعادة:

١) المعنى العامي المتداول : تعتبر السعادة هي مطلب لكل إنسان ولذا فإن تعريفها يختلف فيه الناس: فبعضهم يعتبرها حسن العيش المادي من المأكل والمشرب والملبس والمسكن...إلخ ، وبعضهم يعتبرها حسن السلوك والسيرة مثل الصدق والأمانة والبر والتعاون وفعل الخيرات...إلخ ، وبعضهم يعتبرها راحة البال وطمأنينة النفس التي تتحقق بفضل الخيرات المادية في الحياة الدنيا وكذا الإيمان بالله تعالى بالنسبة للحياة الأخرى ، وهكذا اعتبرت السعادة سدا للحاجة وابتغاء لتحقيق الكمال، ولكنه كمال يغلب عليه الطابع المادي الدنيوي: إذ إن سعادة الفقير في المال وسعادة المريض في الصحة وسعادة القبيح في الجمال وسعادة الوحيد في الصداقة وسعادة العاطل في العمل و سعادة الضعيف في القوة...الخ .

٢) المعنى اللغوي[1]: يشتق من كلمة"سعادة" ألفاظ مثل سعد، يسعد، سعدا وسعادة فهو سعيد ومسعود ونقيضه النحس والشقاوة. وعن نفس هذا الجذر تشتق أربعة ألفاظ وهي : الساعد والسعيد والسعدان والسَّعد أو السُّعد .

- فأما الساعد فيدل عند الإنسان على ذراعه وعند الطير على جناحه وفي القبيلة على رئيسها.
- وأما السعيد فيدل في المزرعة على نهر يسقيها، وفي ضرع الناقة على عروق مخرج اللبن.
- وأما السعدان فيدل على نبات ذي شوك رطب وهو من أطيب ما تقتات عليه الإبل في الصحراء .
- وأما السُّعد فيدل على طيب ذي رائحة زكية ، وأما السَّعد فهو اليمن والبركة والخير.

ويمكن لنا أن نستخلص من الاشتقاق اللغوي أن للسعادة دلالتين:

- أولاهما تشير إلى ما هو مادي محسوس (السقي، الإشباع، الإرضاع...).
- وثانيهما تشير إلى ما هو معنوي عقلي (التسيير، التدبير، الخير، البركة...).

٣) صعوبة الدلالة الفلسفية : إذا كانت السعادة لغة تقابل الشقاء فهي في الفلسفة تتأسس على عدة تقابلات نذكر منها على سبيل التمثيل دون الحصر ما يلي:

---

[1] يراجع في المعنى اللغوي ابن منظور: لسان العرب ٢١٣/٣ ـ ٢١٨ دار صادر ، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٩٦٨، الأزهري: تهذيب اللغة تحقيق محمد علي النجار ٦٩/٢ ـ ٧٤ الدار المصرية للتأليف والترجمة بدون تاريخ، الفيروزأبادي: القاموس المحيط ٣٠١/١، ٣٠٢ دار المعرفة بيروت بدون تاريخ، الصاحب بن عباد: المحيط في اللغة ٥٩/١، محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح ص ٢٩٩ دار الكتاب العربي بيروت ط أولى ١٩٦٧ ، مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط ٤٤٦/١ إصدار مجمع اللغة العربية القاهرة ط ثالثة بدون تاريخ.

(كمال x نقص) ، (نافع x ضار) ، (وجود x عدم) ، (علم x جهل) ، (تفاؤلx تشاؤم) ، (خير x شر) ، (جمال x قبح) ، (دائم x مؤقت) ، (صواب x خطأ) ، (صدق x كذب) ، (فضيلة x رذيلة) ، (عدالة x ظلم)...الخ .

كما أن مفهوم السعادة تتداخل فيه وتتشابك دلالات متباينة ، وتتقاطع فيه حقول معرفية مختلفة كالبيولوجيا والسيكولوجيا والابستمولوجيا والميتافيزيقيا والسياسة ...الخ . ولهذا فإن إعطاء تعريف فلسفي واحد جامع مانع للسعادة يشكل صعوبة ما، وقد عرفت السعادة في المعجم الفلسفي[1] بأنها ''حال تنشأ عن إشباع الرغبات الإنسانية كما وكيفا، وقد تسمو إلى مستوى الرضا الروحي ونعيم التأمل والنظر ولذا تختلط بالغبطة وإن كانت هي أدوم وأسمى''.

تعريف الفارابي للسعادة :

يعرف الفارابي السعادة في كتابه السياسة المدنية بأنها: ''الخير على الإطلاق''[2] ويعبر عن نفس المعنى بتعبير آخر في كتابه التنبيه على سبيل السعادة بقوله''السعادة هي آثر الخيرات وأعظمها وأكملها''[3]

ويعرفها في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة بقوله: ''هي أن تصير نفس الإنسان من الكمال في الوجود إلى حيث لا تحتاج في قوامها إلى مادة وذلك أن تصير في جملة

---

1 مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي تصدير د. إبراهيم مدكور مادة سعادة ص ٩٧ هيئة المطابع الأميرة القاهرة ١٩٨٣ وقارن مادة مذهب السعادة ص ١٧٦، ١٧٧،

2 الفارابي: كتاب السياسة المدنية ص ٧٩ قدم له د/ علي بو ملحم دار ومكتبة الهلال ، وقارن د. جعفر آل ياسين: الفارابي في حدوده ورسومه ص ٢٨٥ عالم الكتب بيروت ط أولى ١٩٨٥. ويلاحظ أن هذا التعريف هو نفس تعريف أرسطو للسعادة بأنها الخير المطلق وأخذه عنه الفارابي ، راجع أرسطو: كتاب الأخلاق تحقيق د. عبد الرحمن بدوي ص ٦٩، ٧٠ وكالة المطبوعات الكويت طبعة أولي ١٩٧٩.

3 الفارابي: كتاب التنبيه على سبيل السعادة تحقيق جعفر آل ياسين ص ٤٩ دار المناهل بيروت ١٩٨٧، وقارن د. جعفر آل ياسين: الفارابي في حدوده ورسومه ص ٢٨٤.

الأشياء البريئة عن الأجسام في جملة الجواهر المفارقة للمواد وأن تبقى على ذلك الحال دائما أبدا''[1]

ولا يعني ذلك اختلافاً في مفهوم السعادة عند الفارابي لكن في التعريف الأخير يركز الفارابي على النفس ودورها الرئيسي في بلوغ السعادة ببلوغها درجة الكمال عندما لا تحتاج إلى المادة في قوامها وتصبح مفارقة للمادة وتبقى على ذلك دائماً أبداً ، وهذه الحالة لا تتعارض من وجهة نظر الفارابي أن تكون هي الخير المطلق أو آثر الخيرات ، وهنا ننبه إلى أن المعنى الأول والثاني للسعادة عند الفارابي لا ينطبق عليهما شروط التعريف بالحد أو بالرسم وإنما يعتبر ذلك من باب الترغيب في اقتناء السعادة بوصفها أنها الخير المطلق أو آثر الخيرات ، كما يلاحظ أن الفارابي قد جعل كمال النفس في مفارقة سجن البدن الذي يصدها عن المعرفة وعن أكثر الخيرات أي عن السعادة وجعلها خالدة أبدا إذا ما تجردت عن المادة يقول الفارابي ''وقد تبين بالنظر والتأمل أنها هي الصَّادة لنا عن أكثر الخيرات وهي العائقة عن أعظم ما تنال به السعادة فإنا متى رأينا أن لذة محسوسة تفوتنا لفعل جميل ملنا إلى تنكب الجميل''[2].

وهذه هي السعادة القصوى وهي سعادة غير سعادة الدنيا وهو بهذا لا يقبل مفهوم أرسطو عن سعادة دنيوية فقط فالسعادة إذن عند الفارابي '' ليست تكون في هذه الحياة بل في الحياة الأخرى التي تكون بعد هذه وهي ما يسمى السعادة القصوى''[3] وهذا تأثر واضح بالدين الإسلامي واستقلال لفكر الفارابي عن المعلم الأول أرسطو الذي تساءل في كتابه "الأخلاق" ألا يمكن أن نصف إنسانا إذن بأنه سعيد طالما كان حياً؟ وهل علينا

---

1 الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة تقديم د/ طه حبيشي ص ١٦٤ المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة ٢٠٠٢.

2 الفارابي: كتاب التنبيه على سبيل السعادة تحقيق جعفر آل ياسين ص ٦٨.

3 الفارابي: كتاب الملة ونصوص أخرى ص ٥٢ تحقيق محسن مهدي دار المشرق المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٨. وقارن عبد السلام بنعبد العالي: الفلسفة السياسية عند الفارابي ص ١٠٤ دار الطليعة بيروت ط ثانية ١٩٨١.

إذن على حد قول صولون ، أن ننتظر النهاية؟ حتى لو كان علينا أن نقر بمثل هذا فهل نمضي إلى حد أن نقول: إن الإنسان لا يكون سعيداً إلا إذا مات؟ أو ليس هذا بالأحرى أمراً باطلاً ، خصوصا في نظرنا نحن الذين نقول: إن السعادة تقوم على نوع من الفعل"[1].

وهذه السعادة القصوى التي ركز عليها الفارابي هي أحد قسمين ذكرهما الفارابي للسعادة وهما:

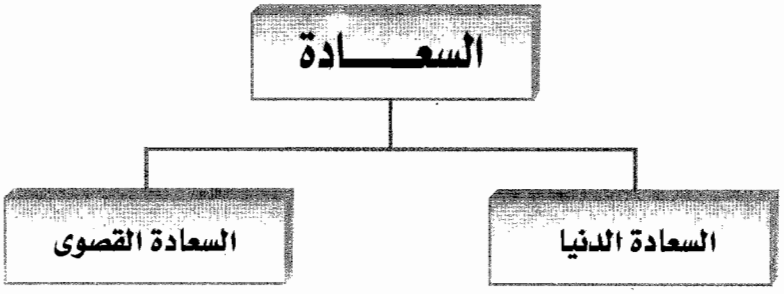

وربما يتبادر للذهن بمجرد النظر في تقسيم الفارابي للسعادة أن القسم الأول هو أقل وأدنى لأنه سماها السعادة الدنيا لكن أعتقد أن هذا لم يكن مقصوداً من الفارابي لأنه عندما وضع منهجاً وطريقاً لتحقيق السعادة بين بأن من يسلك هذا الطريق ويتبع هذا المنهج سوف يحصل على السعادة بقسميها دون تفريق بينهما إلا من وجه واحد وهو أنه سيحصل على السعادة الأولى أي الدنيا في الحياة الأولى وسيحصل على السعادة الثانية أي القصوى في الحياة الأخرى فالسعادة القصوى إذن مرتبطة غير منفكة عن السعادة الدنيا والفرق بينهما هو أن الأولى قريبة والثانية بعيدة، ولكن هل المقصود عند الفارابي بالحياة الأخرى هي ما بعد الموت؟

الحق أن المتأمل في تقسيمه للسعادة بالدنيا والقصوى ، والأولى تحدث في الحياة الأولى أي الحياة الدنيا والحياة الأخرى تقابل الحياة الدنيا وكذلك تعريفه الأخير

[1] أرسطو: الأخلاق تحقيق د. عبد الرحمن بدوي ص ٧٤، ٧٥.

للسعادة بقوله ''هي أن تصير نفس الإنسان من الكمال في الوجود إلى حيث لا تحتاج في قوامها إلى مادة وذلك أن تصير في جملة الأشياء البريئة عن الأجسام في جملة الجواهر المفارقة للمواد وأن تبقى على ذلك الحال دائما أبدا''[1] حيث لفظة الأبدية لا ترتبط في الفكر الإسلامي إلا بالحياة الأبدية بعد الموت في الجنة أو النار يستشعر أن المقصود بالسعادة القصوى عنده هي ما يحصل من سعادة بعد الموت، ولكن رغم كل ذلك أقول إن الفارابي لا يقصد بمفارقة النفس البدن الموت حيث يوضح ذلك بقوله ''قوم من الناس يرون أن الإنسان الذي ليس بحكيم إنما يصير حكيما بمفارقة النفس البدن بأن يبقى البدن غير ذي نفس وذلك هو الموت ، ولذلك يرون أن الموت كمال وأن مقارنة النفس للبدن فشر''[2]

ويعرض رأيه هو فيقول '' أنّ مفارقة النفس للبدن ليست مفارقة بالمكان ولا مفارقة بالمعنى ولا أن يتلف البدن وتبقى النفس أو تتلف النفس ويبقى البدن غير ذي نفس. بل معنى مفارقة النفس هو ألاّ يحتاج في قوامها إلى أن يكون البدن مادة لها، وأن لا تحتاج في شيء من أفعالها إلى أن تستعمل آلة هي جسم ولا أن تستعمل قوة في جسم ولا أن تحتاج إلى أن تستعين في شيء من أفعالها بفعل قوة في جسم أصلاً، فإنها ما دامت محتاجة إلى شيء من هذه فليست مفارقة، وذلك إنما تكون النفس التي تخص الإنسان، وهو العقل النظري، فإنه إذا صار بهذه الحال، صار مفارقاً للبدن سواءٌ كان ذلك البدن يحيى بأن يتغذى ويحس، أو كانت قوته التي يتغذى ويحس قد بطلت. فإنها إذا صارت غير محتاجة في شيء من أفعالها، لا إلى الحس ولا إلى التخيل، فقد صارت إلى الحياة الأخيرة . وحينئذ يكون تصوره لذات المبدأ الأول أكمل إذ كان إنما يهجم العقل على ذاته من غير حاجة به إلى أن يتصوره بمناسبة أو مثال ، وليس يصل إلى هذه الحال إلاّ بالحاجة

[1] الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة تقديم د/ طه حبيشي ص ١٦٤.
[2] الفارابي: فصول منتزعة تحقيق فوزي متري نجار ص ٨٥، ٨٦ دار المشرق بيروت ١٩٧١.

المتقدمة التي كانت له إلى أن يستعين بالقوى الجسمانية وبأفعالها في أن يفعل أفعالها وهذه هي الحياة الأخيرة التي يرى فيها الإنسان ربه لا يضام في رؤيته''[1].

وبذلك يمكن أن نقول إن السعادة القصوى عند الفارابي لانحصر تحصيلها في الحياة الآخرة وإنما يمكن للنفس تحصيلها في الحياة الدنيا على قدر ما تستطيع أن تتخلص من الاحتياجات المادية والبدنية ، ويلاحظ أن السعادة هنا هي سعادة عقلية تقوم على النظر والتأمل وهنا يظهر أثر حياة الفارابي عليه في توجهه نحو السعادة العقلية البعيدة عن سعادة المادة واللذة حيث عاش الفارابي زاهداً ومات زاهداً، فلم يكن يعبأ بشيء من متاع الدنيا سوى ما يضمن له قوت يومه فهو يبتعد عن اللذات الحسية للدنيا لأنها هي العائق لخلاص النفس من سجنها يقول ابن أبي أصيبعة واصفاً حياة الفارابي ''لم يكن يتناول من سيف الدولة من جملة ما ينعم به عليه سوى أربعة دراهم فضة في اليوم ، يخرجها فيما يحتاجه من ضروري عيشه ، ولم يكن معتنيا بهيئة ولا منزل ولا مكسب وأنه كان قاضياً في أول أمره فلما شعر بالمعارف ، وانكشف له الحق نبذ ذلك كله ، ولم يسكن إلى نحو ذلك من أمور الدنيا ، وأقبل بكليته على العلم فعظم شأنه ، واشتهرت تصانيفه وصار واحد زمانه ، وبقي مؤثراً للزهد بالرغم من عظم منزلته وعلو قدره''[2] فقد كان الفارابي زاهدا عاش عيشة أهل التصوف كما يقول هنري كوربان ''كان شديد التدين ، ميالاً إلى الزهد والتقشف ، عاش عيشة بسيطة بعيدة عن التكلف ، حتى أنه كان يتزيا بزي أهل التصوف''[3] ولكن زهد الفارابي لم يكن زهداً

1 الفارابي: المرجع السابق ص ٨٦-٨٧.

2 ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٦٠٣ - ٦٠٤ تحقيق د. نزار رضا مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥. بتصرف. وقارن د. مصطفى غالب: الفارابي في سبيل موسوعة فلسفية ص ١٤ دار ومكتبة الهلال بيروت ١٩٨٦.

3 هنري كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٢٤٣ منشورات عويدات بيروت.

سلبياً انعزالياً كما يعتقد البعض[1] ، ولكنه كان إيجابياً بناءً ترك تراثـاً إنـسانياً عظيمـاً للبشرية ليحققوا السعادة وليبلغوا الكمال الإنساني.

كيف نحصل السعادة؟

يقول الفارابي '' لما كانت السعادة إنما ننالها متى كانت لنا الأشياء الجميلة قنية، وكانت الأشياء الجميلة إنما تصير قنية بصناعة الفلسفة فلازم ضرورة أن تكون الفلسفة هي التي ننال بها السعادة''[2]

ويوضح الفارابي هذه العلاقة بين العلم (الفلسفة) والسعادة بقوله: ''وهذا العلـم هو أقدم العلوم وأكملها رئاسة وسائر العلوم الأُخر الرئيسة هي تحت رئاسة هذا العلم ، وأعني بسائر العلوم الرئيسة الثاني والثالث ثم المنتزع منها إذ كانت هذه العلـوم إنمـا تحتذي حذو ذلك العلم وتستعمل ليكمل الغرض بذلك العلم وهو السعادة القصوى والكمال الأخير الذي يبلغه الإنسان وهذا العلم كما يقال عنه: كان في القديم في الكلدانيين وهـم أهل العراق ثم صار إلى أهل مصر ثم انتقل إلى اليونانيين ولم يزل إلى أن انتقـل إلـى السريانيين ثم إلى العرب ،وكانت العبارة عن جميع ما يحتوي عليه ذلك العلم باللـسان اليوناني ثم صارت باللسان السرياني ثم باللسان العربي ، وكان الذين عندهم هذا العلـم من اليونانيين يسمونه الحكمة على الإطلاق والحكمة العظمى ويسمون اقتناءهـا العلـم وملكته الفلسفة ويعنون به إيثار الحكمة العظمى ومحبتها ويسمون المقتني لها فيلسوفا

1 حكم المستشرق هنري كوربان هذا الحكم على الفارابي وأعتقد أنه مجافٍ للحقيقة فالفارابي بالإضافة لتراثه الضخم كان يدخل على الأمراء والملوك ويجالسهم وكان يتردد عليه تلاميذه لطلب العلم وكان منفتحا على أصحاب الأديان الأخرى حتى أن من بين تلاميذه نصراني ويهودي. راجع هنري كوربان المرجع السابق نفس الموضع.

2 الفارابي: كتاب التنبيه على سبيل السعادة تحقيق جعفر آل ياسين ص ٧٧ دار المناهل بيروت ١٩٨٧. قارن الجرجاني في التعريفات حيث يجعل مهمة الفلسفة هي تحقيق السعادة فيقول : التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة. الجرجاني: التعريفات ص ٢١٦.

ويعنون المحب والمؤثر للحكمة العظمى ويرون أنها هي بالقوة الفضائل كلها ويسمونها علم العلوم وأم العلوم وحكمة الحكم وصناعة الصناعات ويعنون بها الصناعة التي تستعمل الصناعات كلها، والفضيلة التي تستعمل الفضائل كلها ، والحكمة التي تستعمل الحكم كلها ''[1]

وإذا كان غرض العلم (الفلسفة) هو السعادة القصوى وأن الفلسفة هي التي ننال بها السعادة كما ذكر الفارابي في النصين السابقين فكيف يمكن أن يفسر قوله ''وأما الغاية التي يقصد إليها في تعلم الفلسفة فهي معرفة الخالق تعالى''[2] وهنا يوحد الفارابي بين الفلسفة والملة في الهدف والغاية حيث إن غاية كل منهما هي السعادة والتي تكون في معرفة الله تعالى ، وهنا عند هذه النقطة تحديدا أود أن أختلف مع د/ محسن مهدي الذي يصور الفارابي في طرحه لفكرة السعادة ''ليوفق بها بين أفلاطون وأرسطو وأنهما كانا يهدفان إلى نفس الهدف وهو السعادة وأن الفارابي بهذا الطرح لا يقرب القارئ من فلسفة كل من أفلاطون وأرسطو بقدر ما يدفعه إلى الاعتقاد بفلسفتهما''[3] لأن السعادة كانت هدف الكثير من الفلاسفة وليس أرسطو وأفلاطون فقط وليس لازما بما أنهما تحدثا عن السعادة أن يكون بحث الفارابي فيها بدافع التوفيق بينهما بل إن القارئ الجيد لفلسفة الفارابي ولفكرة السعادة عنده يجد أنه جمع بها شمل أفكاره كلها الدينية منها والأخلاقية والسياسية والميتافيزيقية.

والسعادة التي عبر عنها الفارابي بأنها الخير على الإطلاق أو آثر الخيرات وبما أن لفظة الخير يمكن أن يختلف الناس فيها فما يعتبر خيراً عند البعض يمكن أن يكون

---

[1] الفارابي: كتاب تحصيل السعادة تحقيق جعفر آل ياسين ص ٨٨ دار الأندلس بيروت ١٩٨١.

[2] الفارابي: رسالة فيما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة ص ٥٣ مطبوع ضمن كتاب:
Dieterich, Friedrich: *Al Farabi's Philosophische Abhandlungen*, Osnabrueck 1982.

[3] Mahdi, Muhsin: *Remarks on Alfarabi,s Attainment of Happiness,* p65 in Hourani, George F. (ed.) *Essays on Islamic philosophy and science,* State university of new York press 1975.

شراً عند البعض الآخر ولكن الفارابي وضح المقصود بالخير هنا بأنه ليس خير مـــا ، وإنما هو الخير على الإطلاق أو أكمل الخيرات وهو ما حدده هنا بأنه معرفة الله تعـــالى وهنا تلتقي الفلسفة والدين في الهدف والغاية عند الفارابي ففلسفة الفارابي تبدأ بـــالله وتنتهي إليه.

السعادة والمشروع الفلسفي للفارابي:

من خلال إجابة الفارابي عن كيفية تحصيل السعادة؟ اتضح جليا أن الفلسفة هـــي الطريق والمفتاح لهذا المشروع المتكامل والمترابط الأجزاء حيث جعل الفـــارابي العلـــم (الفلسفة) هو الطريق الأوحد لبلوغ غايته الغالية في تحقيـــق ســـعادة الإنـــسان وأخـــذ الفارابي في كتابيه "تحصيل السعادة" و "التنبيه على سبيل السعادة" بيـــان معـــالم هـــذا المشروع ، والذي استفاد فيه الفارابي بلا شك بخبرات ومعارف أرباب الفلسفة اليونانية كأفلاطون وأرسطو من خلال قراءته لتراث أفلاطون الفلسفي ، وقراءته لمنطق وأخلاق أرسطو ، وغير ذلك من الكتب الفلسفية التي ترجمت إلى العربية حيث كانت الفلسفة هي أم العلوم وحكمة الحكم.

وانطلق الفارابي في تحقيق مشروعه من هذه النقطة غير غافل عن كونه فيلسوفاً مسلماً متأثراً بالثقافة الإسلامية التي وجد فيها الله هو أصل الوجود وإليه ينتهي الكـــل ووجد فيها ما يدعو إلى الارتقاء بالإنسان والبعد به عن الرذائل واللذات الحسية التـــي تقف حائلاً أمام الرقي بالحياة الروحية والتي قرنها الفارابي بالسعادة ، وذلـــك بتجـــرد النفس عن كل ما هو مادي لتنال السعادة القصوى في معرفة الخالق تعالى ، ولا يخفى الأثر الواضح هنا للفارابي على الغزالي في القول بالسعادة القصوى وأنها في القرب من الخالق وأن النفس تكتسب كمالها بالعلم وإن بقي الفرق بينهما واضحا فـــالأول يـــسلك طريق العقل والثاني يسلك طريق العرفان فسياق الفارابي فلسفي وسياق الغزلي صوفي يقول الغزالي: ''وإن السعادة القصوى في القرب منه وأن القرب منـــه لـــيس بالمكـــان

وإنما هو باكتساب الكمال على حسب الإمكان، وأن كمال النفس بالعلم والعمل والاطلاع على حقائق الأمور مع حسن الأخلاق، فمن لم يكمل كيف يقرب من الله تعالى''[1].

وإذا كانت الفلسفة هي الوسيلة لتحقيق هدف المشروع الفلسفي للفارابي فهل إذا حصل الإنسان الفلسفة حاز السعادة القصوى؟ الحق أن الإجابة تكون بنعم ! وذلك بتحديد الفارابي لمصطلح الفلسفة حيث مفهوم الفلسفة عند الفارابي يختلف عما قد يتبادر إلى ذهن القارئ لأول وهلة لأن الفلسفة عنده تساوي الملة ، والفيلسوف يساوي الرئيس الأول وواضع النواميس والإمام ، وهذه الألفاظ وإن كانت لها دلالات مختلفة عند أهل العربية إلا أن جميعها بمعنى واحد يقول الفارابي بعد أن وضح دلالة كل لفظ منها عند أهل الضاد'' فتبين أن معنى الفيلسوف ، والرئيس الأول ، وواضع النواميس ، والإمام بمعنى واحد، وأي لفظة ما أخذت من هذه الألفاظ ، ثم أخذت ما يدل عليه كل واحد منها عند جمهور أهل لغتنا وجدتها كلها تجتمع في آخر الأمر في الدلالة على معنى واحد بعينه''[2]

فالفلسفة هنا ليست هي ذلك العلم النظري الذي يهتم فقط بالميتافيزيقا ويحاول أن يجيب عن الأسئلة التي تشغل ذهن الإنسان ، ولكنها منهج حياة متكامل يساوي الملة تماما بتمام بل إن الفارابي يرفع من شأن الفلسفة على الملة لأن الفلسفة تعطي الحقائق معقولة أما الملة فتعطيها متخيلة ، والفلسفة سابقة عنده على الملة[3] ، وهذا الكلام لا يمكن أن نسلم به على إطلاقه للفارابي فالله خلق آدم عليه السلام أبا البشر واصطفاه

---

[1] الغزالي: كتاب ميزان العمل ص ٧٠ دار الكتاب العربي للنشر والطباعة والتوزيع بيروت ١٩٧٩. بل إن الغزالي أفرد فصلا في كتابه ميزان العمل ص ١٤ وما بعدها بعنوان ""بيان أن طريق السعادة العلم والعمل"" والحق أن المتصفح لكتاب ميزان العمل وكتاب كيمياء السعادة للغزالي لا يخفى عليه أثر الفارابي الواضح في هذين الكتابين.

[2] الفارابي: كتاب تحصيل السعادة تحقيق جعفر آل ياسين ص ٩٣، ٩٤.

[3] Laman, Oliver: *An Introduction medieval Islamic philosophy*, p.67, Press Cambridge.

على العالمين قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)[1] فكيف تكون الفلسفة سابقة على الملة؟ وكذلك لا نسلم أيضاً قوله إن الفلسفة عقل والملة تخييل فهذا الكلام فيه نسبة الكذب للأنبياء لأنهم يذكرون للناس الحقيقة بطريق التخييل ، وقد قال الفارابي بعصمتهم مما يعد تناقضاً واضحاً عنده في هذه المسألة اللهم إلا إذا كان التخييل عند الفارابي له معنى آخر غير ما يتبادر إلى أذهاننا. وإن كان يمكن أن تختلف وجه المناقشة إلى أن جعل الفارابي الملة تفيد الحقائق متخيلة يجعلها أنقص من الفلسفة التي تدرك الحقيقة كما هي عن طريق العقل المستفاد وتعطيها معقولة، وما يتبع ذلك من عدم كفاية الملة في تحصيل السعادة القصوى إلا بانضمام الفلسفة إليها.

أقسام الفلسفة عند الفارابي[2]:

الفلسفة عند الفارابي تشتمل على قسمين رئيسيين: الفلسفة النظرية بأقسامها المختلفة، و الفلسفة العملية بشقيها السياسي والأخلاقي.

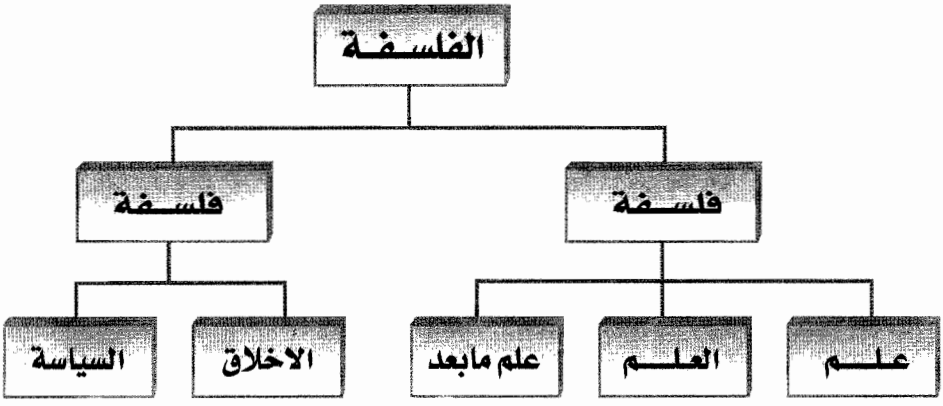

[1] سورة آل عمران آية ٣٣.

[2] لا يخفى على القارئ أن تقسيم الفلسفة إلى نظرية وعملية يرجع إلى أرسطو وقال به الكندي.

ومرجع هذا التقسيم أنه لما كانت الفلسفة عند الفارابي هي الحكمة على الإطلاق ومقصودها تحصيل الجميل وكان الجميل عنده على صنفين: صنف هو علم فقط وصنف هو علم وعمل ، صارت صناعة الفلسفة صنفين: صنف به تحصل معرفة الموجودات التي ليس للإنسان فعلها وهي تسمى النظرية ، والثاني به تحصل معرفة الأشياء التي شأنها أن تفعل والقوة على فعل الجميل منها ، وهذه تسمى الفلسفة العملية، أو الفلسفة المدنية.

والفلسفة النظرية تشتمل على ثلاثة أصناف من العلوم: علم التعاليم ، والثاني العلم الطبيعي ، والثالث علم ما بعد الطبيعيات''[1]

ولقد ترك الفارابي أثره الواضح على من جاء بعده من الفلاسفة والمفكرين أمثال ابن مسكويه في كتابه الأخلاق حين يصف الفلسفة بأنها هي التي يسعد بها الإنسان وبل يذكر نفس تقسيم الفارابي للفلسفة فيقول '' الفلسفة تنقسم إلى قسمين الجزء النظري والجزء العملي فإذا أكمل الإنسان الجزء العملي والجزء النظري فقد سعد السعادة التامة''[2] بل امتد تأثير الفارابي كما يرى ريشارد نيتون ''إلى العامري في كتابه الإعلام بمناقب الإسلام والذي كان أثر الفارابي عليه واضحاً فيه خاصة في موضوع العلم وتقسيمه كما فعل الفارابي''[3]

فإن السعادة تتجلى لدى الإنسان في بلوغ الكمال. والكمال الإنساني كمالان : كمال نظري، وكمال عملي (أخلاقي). أما الأول فهو الذي يبلغه الإنسان بالمعرفة، وذلك بالانتقال من تحصيل علوم الطبيعية إلى تحصيل علم الربوبية (الميتافزيقا). والكمال الثاني يكون عن طريق ترتيب قوى النفس وإخضاعها كلها للقوة الناطقة (العقل)، حيث

[1] الفارابي: كتاب التنبيه على سبيل السعادة تحقيق جعفر آل ياسين ص ٧٦.
[2] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق قدم له الشيخ حسن تميم ص ٥٧ دار ومكتبة الحياة بيروت بدون تاريخ.
[3] Netton, Ian Richard: *Al Farabi and his School,* p.72-76 London 1992.

تكون في أدنى المراتب القوة الشهوية. هكذا يبلغ الإنسان الكمال الخلقي الذي سيهيئه لبلوغ الكمال العقلي.

والفارابي لم يغفل وهو يوضح طريق السعادة بيان كثير من العلوم التي يحتاجها طالب السعادة أن يصنف العلوم فألف كتاباً هاماً في هذا الباب بعنوان "إحصاء العلوم"[1] وهي خطوة هامة في مشروعه الفكري تدل على مدى اتساق تفكيره ومنهجيته وعقليته الموسوعية فإن تطور العلوم الحديثة لم ينهض إلا بسبب مثل هذا التصنيف والتخصص وكما يقول د. فيصل بدر عون '' وفيلسوفنا باعتباره فيلسوفاً كبيراً له شأن أراد أن يضع أمام المفكر العربي المسلم جملة من المعارف والعلوم التي كانت سائدة آنذاك وهي بلا شك ليست مسألة هينة إذ إن إحصاء العلوم وتصنيفها والحديث عن كل علم من العلوم بدقة فائقة أمر يدل بلا شك على علو شأن الفارابي ومكانته العلمية''[2] واستطاع أن يحوز كثيرا من العلوم التي تبدوا لنا الآن بعيدة الصلة عن بعضها البعض فقد كان طبيباً وقاضياً وموسيقياً وصوفياً ومعلماً وشارحاً ومنطقيا جمع كل ذلك لأنه كان فيلسوفاً بحق.

ويوضح الفارابي هذه الأقسام النظرية وكيفية تعلمها بدءا بعلم التعاليم ومروراً بالعلم الطبيعي وانتهاءً بعلم ما وراء الطبيعة فهي السبيل لتحصيل المعرفة وأيضا السبيل لتعليم أهل المدن الفاضلة ونقل الخبرات إليهم ومحاولة الارتقاء بعقولهم حتى تصير إلى درجة الكمال بحيث تستطيع تعقل الأشياء مجردة عن المادة ، وهنا تكمن أهمية الجانب النظري من فلسفة الفارابي للوصول إلى الغاية القصوى وهي السعادة التي تكمن في معرفة الله تعالى عن طريق العلم (الفلسفة) بشقيها النظري والعملي.

---

1. قام الدكتور عثمان أمين بنشر "كتاب إحصاء العلوم" عام ١٩٣١م، وأعاد نشره مرة أخرى بطريقة علمية دقيقة ١٩٤٩م.
2. د. فيصل بدر عون: الفلسفة الإسلامية في المشرق ص ٢٢٧ مكتبة الحرية الحديثة القاهرة ١٩٨٢.

ويصور الفارابي ذلك بقوله '' فأول أجناس الموجودات التي ينظر فيها ما كان أسهل على الإنسان وأحرى أن لا تقع فيه حيرة واضطراب الذهن وهو الأعداد والأعظام والعلم المشتمل على جنس الأعداد والأعظام هو علم التعاليم فيبتدأ أولا في الأعداد فيعطى في الأعداد الأعداد التي بها يكون التقدير ويعطى مع ذلك كيف التقدير بها في الأعظام الأخر التي شأنها أن تقدر ، ويعطى أيضا في الأعظام الأشكال والأوضاع وجودة الترتيب وإتقان التأليف وحسن النظام ..... إلى أن يأتي على جميع الموجودات التي يمكن أن توجد فيها هذه الأشياء من جهة الأعداد والأعظام فيحدث من ذلك أيضا علوم المناظر وعلوم الأُكَر المتحركة وعلوم في الأجسام السماوية وعلم الموسيقى وعلم الأثقال وعلم الحيل. ..... فيبتدىء أولاً من الأعداد ثم يرتقي إلى الأعظام ثم إلى سائر الأشياء التي تلحقها الأعداد والأعظام بالذات مثل المناظر والأعظام المتحركة التي هي الأجسام السماوية ثم إلى الموسيقى والأثقال والحيل فيكون قد ابتدأ مما قد يفهم ويتصور بلا مادة أصلاً ''[1]

فالفارابي يبدأ في التعليم بما هو غير مادي أي بما هو مفهوم ومتصور وينتهي كذلك به وذلك يؤكد على نزعته التصورية القائمة على العقل ولا غرو فقد احتل العقل مكانة هامة يلحظها بوضوح من يقرأ فلسفته بل إنه قد أفرد للعقل دراسة خاصة بعنوان "رسالة في العقل". ويمكننا أن نلحظ عقلانية الفارابي في التركيز على التأسيس على الجانب النظري الفكري وهو في سبيل تحصيل السعادة وكذلك بوضعه مبادئ تعليمية هامة تساعد في نيل هذه الفضائل النظرية فهي في نظره نوعين: منها ما يحصل للإنسان من أول أمره من حيث لا يشعر ولا يدري كيف ومن أين حصلت ومنها ما يحصل بتأمل وعن فحص واستنباط وتعليم وتعلم والنوع الأول يوصل للثاني والنوع

[1] الفارابي: كتاب تحصيل السعادة تحقيق جعفر آل ياسين ص ٥٥-٥٧ باختصار.

الثاني في أول أمره يكون مجهولا وعندما يفحص عنها تكون مطلوبة فإذا حصلت صارت نتائج.

ويؤكد الفارابي على أهمية التجربة والمحاولة من أكثر من طريق للوصول إلى نفس الهدف ''وأن تكون قرائحنا العلمية المفطورة فينا بالطبع مقومة بصناعة تعطينا علم هذه إذ كانت فطرتها غير كافية في تمييز هذه الطرق بعضها عن بعض وذلك أن تتيقن بأي شرائط وأحوال ينبغي أن تكون المقدمات الأول وبأي ترتيب ترتب حتى تفضي لا محالة بالفاحص إلى الحق نفسه وإلى اليقين فيه. وبأي شرائط وأحوال تكون المقدمات الأول وبأي ترتيب ترتب فلا تعطي في المطلوب الظن والإقناع حتى توهم أنه يقين من غير أن يكون يقيناً فتضلل الفاحص عن الحق أو تحيره فيه حتى لا يدري أيما هو الحق من مطلوبه فتفضي بالفاحص لا إلى الحق نفسه بل إلى مثال الحق وخياله. فإذا عرفنا هذه كلها شرعنا حينئذ في التماس علم الموجودات. إما بفحصنا نحن بأنفسنا وإما بتعليم غيرنا لنا''[1]

وفي التماس الفارابي لعلم الموجودات يبدأ بتقسيم أجناس الموجودات القسمة المنطقية ابتداء بالموجود الذي لا يمتنع أن لا يكون لوجوده مبدأ أصلاً وهو المبدأ الأقصى لوجود سائر الموجودات ، وانتهاء بما يحتاج إلى مبادئ الوجود الأربعة أعني العلة المادية والعلة الفاعلة والعلة الصورية والعلة الغائية، وينطلق الفارابي من التعليم لإثبات الوجود باعتباره أن مبادئ التعليم هي عينها مبادئ الوجود فيقول ''ومبادئ التعليم في جل ما يحتوي عليه هذا العلم هي مبادئ الوجود. وإنما يصار من مبادئ التعليم إلى علم مبادئ الوجود وذلك أن مبادئ التعليم في كل جنس من أجناس الأمور الطبيعية هي أشياء متأخرة عن مبادئ وجودها. فإن مبادئ الوجود في هذا الجنس هي

[1] الفارابي: كتاب تحصيل السعادة تحقيق جعفر آل ياسين ص ٥٠-٥١.

أسباب وجود مبادئ التعليم وإنما يرتقي إلى علم مبادئ كل جنس أو نوع عن أشياء كائنة عن تلك المبادئ''[1]

وبعد أن ينتهي الناظر من النظر في الأجسام السماوية ويفحص عن مبادئ وجودها ثم ينظر في النفس ويطلع من ذلك على مبادئ نفسانية ويرتقي منها إلى النظر في الحيوان الناطق الذي ''إذا فحص عن مبادئه اضطر إلى النظر في ماذا هو النظر وبماذا وكيف ذا وعماذا ولماذا فيطلع حينئذ على العقل وعلى الأشياء المعقولة فيحتاج حينئذ إلى أن يفحص عن ماذا العقل وبماذا وكيف هو وعماذا ولماذا وجوده فيضطره الفحص إلى أن يطلع من ذلك على مبادئ أخر ليست بأجسام ولا في أجسام ولا كانت ولا تكون في أجسام فيكون قد انتهى بالنظر في الحيوان الناطق إلى شبيه ما انتهى إليه عند نظره في الأجسام السماوية فيصير إلى أن يطلع على مبادئ غير جسمانية''[2]

وكأني بالفارابي الفيلسوف المسلم هنا يتمثل الآيات القرآنية التي تحث المسلم على النظر في السموات والأرض ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[3] وتحثه على النظر في النفس قال تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[4] وذلك للوصول إلى الحكمة الموجودة في الخلق وبالتالي الوصول إلى الخالق جل وعلا.

وبعد النظر في الأجسام السماوية والنظر في النفس ينظر فيما بعد الطبيعة ويصور ذلك الفارابي بقوله ''وعندما ينتهي بالنظر إلى الأجسام السماوية ويفحص عن مبادئ وجودها يضطره النظر في مبادئ وجودها إلى أن يطلع على مبادئ ليست هي

---

[1] المرجع السابق ص ٥٩ ، ويلاحظ هنا أن الفارابي في نظرته لإثبات الوجود لم يفعل كما فعل ديكارت حيث انطلق من الشك إلى إثبات الوجود وهو ما يعرف عنده بمبدأ الكوجيتو.

[2] نفسه ص ٦٠.

[3] سورة آل عمران آية ١٩٠-١٩١.

[4] سورة الذاريات آية ٢١.

طبيعة ولا طبيعية بل موجودات أكمل وجوداً من الطبيعة والأشياء الطبيعية ليست بأجسام ولا في أجسام فيحتاج في ذلك إلى فحص آخر وعلم آخر يفرد فيما بعد الطبيعيات من الموجودات"[1].

ونلاحظ أن الفارابي يجعل الناظر دائما وهو ينظر في الأشياء سواء الأجسام السماوية أو الطبيعة أو النفس ينتهي إلى النظر في موجودات أكمل وجوداً من الطبيعة وهي ليست بأجسام.

وقد جعل الفارابي أكبر معين للإنسان لبلوغ هذا الكمال (السعادة) ما يفيضه العقل الفعال والعقول السماوية على الإنسان ويختلف الناس فيما بينهم بحسب درجة كل منهم في تلقي هذا الفيض وهو ما يدفعنا الآن إلى أن نعرض للعلاقة بين نظريتي الفيض والسعادة عند الفارابي:

نظرية الفيض[2] وعلاقتها بنظرية السعادة عند الفارابي:

أراد الفارابي بطرحه لنظرية الفيض أن يقدم حلا لمشكلة طالما استعصت على الفلاسفة من قبله وهي أن الإقرار بكائن قديم كامل مجرد عن المادة يجعلنا نتساءل كيف

---

1 الفارابي: كتاب تحصيل السعادة تحقيق جعفر آل ياسين ص ٥٩-٦٠.

2 ليس مقصودنا من هذا البحث هو عرض لنظريات الفارابي كدراسة وصفية وإنما هو رؤية قائمة على التحليل والربط بين نظريات الفارابي بحيث نخرج بصورة صحيحة وفهم عميق لفكر هذا الفيلسوف الذي نال تلميذه ابن سينا شهرة أكثر منه. هذا تعتبر نظرية الفيض من النظريات التي تناولها كثير من الباحثين بالدرس والتحليل والنقد ولذا آثرنا أن نختصر الحديث عنها قدر الطاقة ويمكن الرجوع إليها بالتفصيل عند كل من د. محمد عبد الرحمن مرحبا: من الفلسفة اليونانية على الفلسفة الإسلامية ص٤١٧ - ٤٢٣ منشورات عويدات ط الثالثة بيروت ١٩٨٣، د. فيصل بدر عون: مرجع سابق ص ٢٤٩ - ٢٥٧، أحمد شمس الدين: الفارابي حياته، آثاره، فلسفته - سلسلة الأعلام من الفلاسفة ص ١٣٤ - ١٣٨ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠، عبده الحلو: الوافي في تاريخ الفلسفة العربية ص ١٢٤ - ١٢٨ دار الفكر اللبناني ط أولى بيروت ١٩٩٥، جميل صليبا: تاريخ الفلسفة العربية ص ١٥٠ - ١٥٥ الشركة العالمية للكتاب لبنان ١٩٨٩، عبده الشمالي: دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها ص ٢٧٦ - ٢٨١ دار صادر بيروت ١٩٧٩.

نشأت المادة عن الروح؟ وكيف صدر المتعدد المركب عن الواحد البسيط؟ بل كيف صدرت مخلوقات ذات صور ومواد مختلفة عن كائن لا مادة له ولا صورة ؟ و بهذه النظرية أيضا يحاول الفارابي أن يوفق بين الفلسفة في تساؤلاتها السابقة ومنعها لصدور الكثرة عن الواحد تبعا للمبدأ الفلسفي إن الواحد لا يصدر عنه من كل وجه إلا واحد وبين الدين الذي يؤكد أن الكل مخلوق لله قال تعالى ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[1].

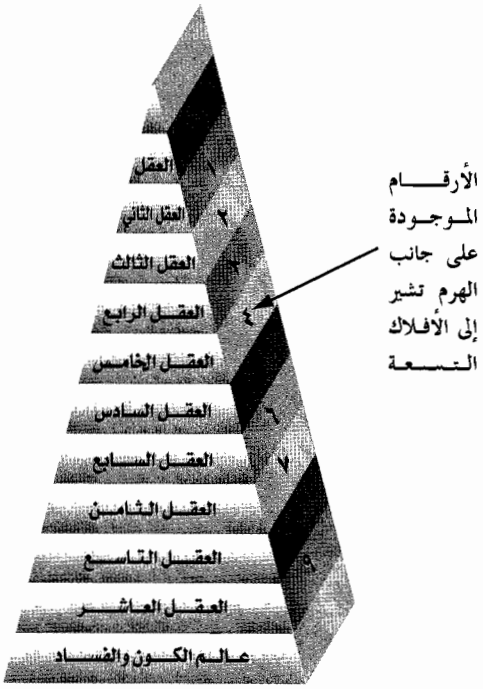

[1] سورة الزمر آية ٦٢.

حل الفارابي هذه الإشكالية بنظرية الفيض أو نظرية العقول العشرة[1] وهذه النظرية تتلخص في أن الأول (الله) فاض عنه وجود ثان (عقل أول) وهو جوهر غير متجسم أصلاً ولا هو في مادة وهو يعقل ذاته ويعقل الأول فبما يعقل الأول يلزم عنه وجود ثالث (عقل ثان) وبما يعقل من ذاته يلزم وجود السماء الأولى (أو الفلك المحيط أو الفلك الأعلى) ، وهذا الوجود الثالث هو أيضا ليس في مادة وهو بجوهره عقل (العقل الثاني) وهو يعقل ذاته ويعقل الأول فبما يعقل من الأول يلزم عنه وجود رابع (عقل ثالث) وبما يعقله من ذاته يلزم عنه وجود كرة الكواكب الثابتة أو فلك الثوابت وتستمر عملية الفيض هذه حتى يصل الفارابي إلى العقل العاشر وهو العقل الفعال ، والكوكب التاسع وهو فلك القمر ، وهذا العقل العاشر أو العقل الفعال هو الذي يدبر عالم ما دون فلك القمر عالمنا الأسفل عالم الكون والفساد. وبهذا العرض المختصر لنظرية العقول العشرة يمكن لنا أن نقول إن فلسفة الفارابي نحو المبدأ الأول والكون يمكننا أن نتخيلها في صورة تقريبية على شكل هرم يتكون من اثنتي عشرة درجة في أعلى القمة يكون المبدأ الأول الذي هو أصل الوجود وعنه فاض وبعده مباشرة يأتي العقل الأول وهكذا تتوالى الدرجات حتى نصل إلى الدرجة الأخيرة الثانية عشرة والتي يكون فيها عالم الكون والفساد عالم الإنسان والنبات والحيوان والجماد عالم المادة الناقص فإذا ما أراد الإنسان باعتباره المخلوق الذي عنده القوة العاقلة التي تميزه عن غيره من المخلوقات المادية أن يرتقي سلم الكمال ليحصل سعادته القصوى ليس له إلا طريق واحد وهو أن يصير نفسه بحيث لا تحتاج في قوامها إلى مادة ، بمعنى آخر إذا أراد أن يصعد ويرتقي إلى سلم الوصول لا بد أن يجرد نفسه من علائق المادة التي لا يكسبها البدن إلا ظلمة

---

[1] ينبغي أن ننبه إلى أن الفارابي لم يحدد في كتابه عيون المسائل عدد العقول والأفلاك التى صدرت الأول بل يقول ''ونحن لا نعلم كمية هذه العقول والأفلاك إلا على طريق الجملة ، إلى أن تنتهي العقول الفعالة إلى عقل فعال مجرد من المادة وهناك يتم عدد الأفلاك'' راجع نظرية العقول العشرة عند الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة تقديم د. طه حبيشي ص ٩١-٩٢، وكذلك في: عيون المسائل ص ٦٥ منشور ضمن كتاب:

Dieterich, Friedrich: *Al Farabi's Philosophische Abhandlungen.*

وذلك لأن العالم الذي فوقها في درجات الهرم كله عقل محض ليس فيها مادة ولن يتأتى له ذلك إلا بطريق واحد رسم الفارابي معالمه وهو اقتناء الفلسفة.

خالف الفارابي جمهور فلاسفة الإسلام[1] الذين يرون أن العالم حدث عن طريق القدرة الإلهية التي تتعلق بالإحداث والإيجاد عن طريق الإبداع من العدم أي إيجاد الأشياء بعد أن لم تكن موجودة ، أما الفارابي وأصحاب نظرية الفيض فيتصورون العالم في جملته صدر من المبدأ الأول لا من طريق القدرة المبدعة ولا من طريق الإرادة الخالقة ولا من طريق القصد إلى الخلق ولا على سبيل صدور المعلول عن علته صدوراً طبيعياً ضرورياً ، بل يرون أن العالم صدر عن المبدأ الأول بطريق الفيض كما يصدر الضوء والنور عن الشمس ويفيض منها وهذا الفيض متدرج بحيث إنه كلما بعدت الأشياء عن المبدأ الأول قلت فيها الناحية العقلية الروحانية وزادت فيها الناحية المادية الحسية حتى تصل إلى هذا العالم الأرضي.

السعادة والجانب السياسي عند الفارابي:

تعتبر نظرية السعادة هي المحور الرئيسي في فلسفة الفارابي السياسية وهي المدخل لتشكيل هذا الجانب الهام من فلسفته بدءا بتعريف الفارابي لمدينته الفاضلة بأنها التي يقصد الاجتماع فيها التعاون على الأشياء التي تنال بها السعادة الحقيقية.

ولذلك يعتبر د. محمد عبد المعز نصر أن الفارابي ''جعل من السعادة مبدأ سياسيا ومعيارا أساسيا يستخدم في تقرير ماهية الحكم ووظيفته وصلاحية الحاكم لتولي منصبه كما جعل منها محركا دينامياً لعملية الحياة العامة والأنشطة المتعددة في الدولة فكرية كانت أم مادية ، فمسألة السعادة عند الفارابي هي المسألة السياسية التي تربط بين مؤلفاته في معالجاتها لوجوهها المختلفة في إطار مفهومه للدولة العضوية الكلية

[1] يراجع في هذه المسألة المراجع المذكورة في الهامش السابق بالإضافة إلى كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة تقديم د/ طه حبيشي مرجع سابق.

المتفاوتة الأدوار والصنائع والمختلفة المراتب والرياسات تحت سلطان الرئيس الأول الجالس على رأس هرم القوة والنظام''[1]

وإذا كان أفلاطون قد اختار العدل ليكون الموضوع الأساسي للحكم في دولته المثالية فإن الفارابي اختار السعادة وذلك يرجع من وجهة نظري إلى تأثر الفارابي بالإسلام كدين يعطي للإنسان الفرد قدراً كبيراً من الحرية ويريد منه أن يقترب نحو الحقيقة والسعادة بدافع ذاتي ويربي فيه الضمير ولا يريده ذلك الإنسان الذي يلتزم لأنه يخشى من تطبيق العقوبة.[2]

وكان ارتباط الجانب السياسي في فلسفة الفارابي بنظريته في السعادة ارتباطا كبيرا حتى إننا لا نجد فكرة في كلام الفارابي عن المدينة الفاضلة إلا وترتبط بنظرية السعادة بدءا بالجانب النظري العام (السياسة كعلم) وأن العلم بإطلاقه العام والذي يشتمل على علم السياسة ما هو إلا لتحصيل السعادة، وكذلك على المستوى النظري الخاص أعني الخوض في التفصيلات السياسية فالسعادة كعلة غائية كانت هي المدخل لفهم فلسفة الفارابي السياسية:

السعادة ونشأة الدولة عند الفارابي:

ينطلق الفارابي من مبدأ أن الإنسان لا يستطيع أن يبلغ جميع الكمالات منفرداً وإنما لابد له من معاونة أناس كثيرين ''أن الإنسان إنما يصير إلى الكمال الأقصى الذي له ما يتجوهر به في الحقيقة إذا سعى عن هذه المبادىء نحو بلوغ هذا الكمال وليس

---

1 الفارابي ونظم الحكم في القرن العشرين ص ٢٣٦، ٢٣٧بحث منشور ضمن كتاب "أبو نصر الفارابي في الذكرى الألفية لوفاته" تصدير د/ إبراهيم مدكور الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٣.

2 يرجع البعض اختيار الفارابي للسعادة كمحور لنشاط المجتمع وغاية الإنسان والدولة الفاضلة بدلا من العدل كأفلاطون لأن السعادة في العصور الوسطى كانت غاية اجتمع على المناداة بالسعي لتحصيلها المفكرون، ولكني أرى أن هذا التحليل لا ينطبق على الفارابي فلم يسبق من فلاسفة العصور الوسطى بالبحث في هذه المسألة. راجع د. محمد عبد المعز نصر: المرجع السابق ص ٢٣٧.

يمكنه أن يسعى نحوه إلا باستعمال أشياء كثيرة من الموجودات الطبيعية وإلى أن يفعل فيها أفعالاً تصير بها تلك الطبيعيات نافعة له في أن يبلغ الكمال الأقصى الذي سبيله أن يناله ، ويتبين له مع ذلك في هذا العلم أن كل إنسان إنما ينال من ذلك الكمال قسطاً ما وإن ما يبلغه من ذلك القسط كان أزيد أو أنقص إذ جميع الكمالات ليس يمكن أن يبلغها وحده بانفراده دون معاونة ناس كثيرين له''[1] ويبين أن ارتباط الإنسان بالآخرين هو فطرة إنسانية فيقول: ''وإن فطرة كل إنسان أن يكون مرتبطاً فيما ينبغي أن يسعى له بإنسان أو ناس غيره وكل إنسان من الناس بهذه الحال ، وإنه كذلك يحتاج كل إنسان فيما له أن يبلغ من هذا الكمال إلى مجاورة ناس آخرين واجتماعه معهم ، وكذلك في الفطرة الطبيعية لهذا الحيوان أن يأوي ويسكن مجاوراً لمن هو في نوعه فلذلك يسمى الحيوان الإنسي والحيوان المدني ، فيحصل ههنا علم آخر ونظر آخر يفحص عن هذه المبادىء العقلية وعن الأفعال والملكات التي بها يسعى الإنسان نحو هذا الكمال فيحصل من ذلك العلم الإنساني والعلم المدني''[2] فالفارابي في تأسيسه للمدينة السعيدة أو الفاضلة أقامها على أساس الجماعة وتعاونهم بعضهم مع بعض ولم يقمها على الفردية.

ورغم أن الفارابي كان فيلسوفا ذا نزعة صوفية قوية عبر عنها بإمكان وصول النفس لرؤية الله عن طريق الفلسفة وتزيا بزي أهل التصوف ، والسعادة عند الصوفية تدبير للفرد، ويجعلون نجاة الفرد أسبق من نجاة الجماعة. هكذا نجد المتصوفة ميالين إلى العزوف عن عرض الدنيا، علاوة على أن التصوف يعتبر في نظر أهله تجربة فردية خاصة تسمو عن المماثلة ولا يمكن نقلها إلى الغير، لأن اللغة تعجز عن ترجمتها وتصويرها بأمانة.

[1] الفارابي: كتاب تحصيل السعادة تحقيق جعفر آل ياسين ص ٦١.
[2] راجع د. محمد عبد المعز نصر: مرجع السابق ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

إلا أن الفارابي آثر أن لا يأخذ بمبدأ الصوفية القائم على الفردية والتجربة الذاتية في تحقيق السعادة بالقرب من الله وإنما أخذ بمنهج العقل منهج الفلاسفة الذين يرون أن سعادة الفرد ترتبط بسعادة المجتمع ، وهنا ربما تظهر إشكالية التوفيق بين ربط الفارابي السعادة بالمجتمع وبين.كونها عنده تجرد النفس بحيث لا تحتاج في قوامها إلى المادة ، لكن هذه الإشكالية تزول إذا ما تتبعنا منهج الفارابي لتحقيق ذلك وأنه لا بد أن يتم على مستوى جماعي وليس على مستوى الفردي.

السعادة وتصنيف المدن عند الفارابي:

إذا كان الفارابي قد أكد على مبدأ الحاجة للجماعة وأن ذلك أمر فطري وأنه أحد الروافد التي توصل إلى السعادة فإنه كذلك ربط بين تصنيفه للمدن ونظرية السعادة حيث يذكر أن المدن '' منها الكاملة ومنها غير الكاملة والكاملة ثلاث عظمى ووسطى وصغرى فالعظمى اجتماع الجماعة كلها في المعمورة ، والوسطى اجتماع أمة في جزء من المعمورة والصغرى اجتماع أهل مدينة في جزء من مسكن أمة .... ''[1] وهنا يقسم الفارابي المجتمعات إلى كاملة وغير كاملة ، ويريد بالمجتمع الكامل ما يتحقق فيه التعاون الاجتماعي بوجه كامل للوصول إلى السعادة ، وبغير الكامل ما لا يستطيع أن يحقق التعاون بصورة كاملة للوصول إلى نفس الهدف.

فالاجتماعات الكاملة التي يمكن أن تتحول إلى مدن فاضلة ثلاثة : عظمى، ووسطى، وصغرى. وما دونها فهي غير كاملة لأن قلة عدد أفرادها لا يؤهلهم لتأمين حاجاتهم ، فالمدينة الفاضلة هي المجتمع الذي يلتف حول رئيسه وتتراتب فيه المراكز الاجتماعية تفاضلا حيث نجد في أسفل المراتب من يخدم ولا يخدمه أحد. فيكون أفراده متعاضدين متعاونين، بحيث تتوزع الوظائف بينهم بحسب الأهلية. ومضادات المدن الفاضلة كلها اجتماعات شقية في الدنيا والآخرة، وأصل الشقاء فيها هو

[1] د. على عبد الواحد وافي: المدينة الفاضلة للفارابي ص ٣٨ نهضة مصر القاهرة.

الاعتناء باللذات الجسدية، والنزوات الفردية، والتفكير في المصلحة الخاصة قبل المصلحة العامة.

ويلاحظ أن الفارابي في تصنيفه لأنواع المدن لم يكتف بالتصنيف من حيث حجم المدينة وإنما أضاف معياراً نوعياً وذلك باشتراطه نيل السعادة ، وفي تصنيفه للمدينة المضادة للمدينة الفاضلة وهي المدينة الجاهلة خصها بأنها التي لم يعرف أهلها السعادة ولا خطرت لهم ببال وهكذا فالمدن الفاضلة هي المدن التي ارتبطت بالسعادة وطبقت شروط تحصيلها والمدن الجاهلة هي التي لم تعرف السعادة ونلاحظ من تسمية الفارابي بالفاضلة والجاهلة مدى الدور الكبير الذي يعطيه للعلم لأنه في نظره مفتاح السعادة.
وهذا الدور للعلم يربط فيه الفارابي بين النفس الإنسانية وتحصيل السعادة ، فالسعادة تكون عندما تسيطر النفس العاقلة (وفضيلتها الحكمة) على النفس الغضبية (وفضيلتها الشجاعة) والنفس الشهوانية (وفضيلتها العفة) فيصل الإنسان للسعادة هذا بالنسبة للمدينة الفاضلة ، أما المدينة الجاهلة: عكس المدينة الفاضلة، يطلب أهلها السعادة الآتية من النفس الغضبية والشهوانية. والمدينة الفاسقة: هي التي عرف أهلها المبادئ الصحيحة وتخيلوا السعادة على حقيقتها ولكن أفعالهم مناقضة لذلك. المدينة المبدلة: أيضاً مضادة للمدينة الفاضلة ويكون السلوك فيها فاضل ثم يتبدل.

السعادة وحاكم المدينة الفاضلة:

لحاكم المدينة الفاضلة دور هام في نظرية الفارابي السياسية ونظريته في السعادة حتى إن الفارابي يشبهه بأنه بمثابة القلب[1] من جسد الإنسان فكما أن القلب هو أساس حياة الإنسان وهو الذي يمد جميع الأعضاء بما ينميها كذلك الرئيس الأول أو الحاكم

[1] هناك تأثر واضح من الفارابي بأفلاطون في الفكر السياسي حتى في تشبيهه المدينة بالبدن وحاكمها بالقلب راجع د. فوزي عطوي: الفارابي فيلسوف المدينة الفاضلة ص ١٢٧ دار الكاتب العربي بيروت.

ويرتب الفارابي أدوار الناس الذين يعيشون في المدينة الفاضلة بحسب قربهم من الرئيس الأول وذلك في شكل هرمي شبيه بهرم الفيض ولكن هنا في أعلى القمة يكون الرئيس الأول أو الإمام أو الفيلسوف فليس أي شخص يصلح لهذه المهمة وإنما لا بد من أن تتوافر فيه شروط معينة[1] والتي من أهمها أن يكون حكيماً فيلسوفاً نبياً وهنا يربط الفارابي المدينة من خلال حاكمها بوسيلة السعادة وهي الفلسفة، فالفارابي اهتم بالجانب المعرفي فالمعرفة عنده فضيلة وخير أي سعادة والجهل رذيلة وشر وشقاوة ، بل إن المعرفة هي التي تؤهل الحاكم لقيادة المدينة الفاضلة وذلك لدوره الهام في تعليم الأمة والوصول بها نحو السعادة [2].

السعادة والجانب الأخلاقي عند الفارابي :

لاشك أن موضوع السعادة والبحث عنها هو موضوع يندرج تحت مبحث الأخلاق بصفة أساسية عند معظم الباحثين في الأخلاق ولكن الفارابي جعل السعادة أساساً لمشروعه الفلسفي بما فيه الجانب الأخلاقي بمعنى أن الأخلاق عنده تعد جزءاً من كل لتحقيق السعادة فالفارابي يرى ''أن الأخلاق علم يفحص عن الغرض الذي لأجله كون الإنسان ، وهو الكمال الذي يلزم أن يبلغه ثم يفحص عن جميع الأشياء التي بها يبلغ الإنسان ذلك الكمال أو ينتفع في بلوغه وهي الخيرات والفضائل والحسنات''[3] وهو يبدأ بأن الإنسان يحصل السعادة إذا حاز أربعة أجناس: الفضائل النظرية والفضائل الفكرية

---

1 راجع هذه الشروط بالتفصيل في المرجع السابق ص ١٢٨ ـ ١٣٠، ولا أدري لماذا اشترط الفارابي النبوة في الحاكم؟ بالرغم من أن البعض يمكن أن ينظر إلى ذلك على أنه أمر إيجابي في فلسفة الفارابي مما يميزها عن أفلاطون وأن ذلك هو الأثر الواضح للدين عند الفارابي ، ولكني أقول إن الفارابي في ذلك جانبه الصواب كمفكر إسلامي إن كان يريد مدينة فاضلة للمستقبل لأن الرسالة ختمت بنبينا محمد صلى الله علي عليه وسلم اللهم إلا إذا كان الرافد الشيعي لديه قد دفعه لهذا الشرط ليمهد الطريق لعقيدة الأئمة المعصومين فكرياً وسياسياً.

2 تناول ابن مسكويه في كتابه تهذيب الأخلاق هذه المسألة تحت عنوان: غاية الكمال والسعادة التامة ، حيث سار على منهج الفارابي فقال (ولأجل ذلك يجب على مدبر المدن أن يسوق كل إنسان نحو سعادته التي تخصه ثم يقسم عنايته بالناس ونظره لهم بقسمين: أحدهما في تسديد الناس وتقويمهم بالعلوم الفكرية. والأخر في تسديدهم نحو الصناعات والأعمال الحسية). راجع تهذيب الأخلاق ص ٨١.

3 د. فوزي عطوي: الفارابي فيلسوف المدينة الفاضلة ص ١٦١.

والفضائل الخلقية والصناعات العملية فالفضائل الخلقية هي أحد أركان أربعة التي لا غنى عنها إذا أردنا تحقيق السعادة وهذه الفضائل الخلقية تنظر في عمل الحق والخير ، وهكذا تبدوا الأخلاق أساساً هاماً لتحصيل السعادة وتبدوا السعادة هدفا غاليا لتحصيل الفضائل الخلقية ليس ذلك فحسب بل ويعتبر الفارابي ''الفضيلة الخلقية هي الفضيلة الرئيسة التي لا فضيلة أشد منها في الرياسة''[1] .

فمذهب الفارابي في الأخلاق ''مبني على الفضيلة فالإنسان السعيد هو الإنسان الفاضل والمدينة السعيدة هي المدينة التي يحكمها ملك فاضل''[2] وهذه الفضائل يتم تحصيلها بأحد طريقين أولا بالتعليم وهو إيجاد الفضائل النظرية في الأمم وبالتأديب وهو إيجاد الفضائل الخلقية والصناعات العملية في الأمم.

وكما ارتبطت نظرية السعادة عند الفارابي بالفضيلة كذا ارتبطت بفكرتي الخير والشر فالسعادة في إحدى تعريفاتها هي الخير على الإطلاق ولكن ما المقصود بالخير وهل هو خير لذاته يجيب الفارابي بقوله '' وكل ما ينفع في أن تبلغ به السعادة وتنال به فهو خير أيضاً خير لا لأجل ذاته لكن لأجل نفعه في السعادة، وكل ما عاق عن السعادة بوجه ما فهو الشر على الإطلاق''[3] إذن فالخير ليس نوعا واحدا عند الفارابي وإنما هو متعدد: خير على الإطلاق وهو يساوي السعادة وخير يكون وسيلة لتحصيل السعادة.

وهذا النوع الأخير ينقسم أيضا إلى ما هو بالطبع وما هو بالإرادة ، يقول الفارابي ''والخير النافع في بلوغ السعادة قد يكون شيئا مما هو موجود بالطبع وقد يكون ذلك

---

[1] الفارابي: كتاب تحصيل السعادة تحقيق جعفر آل ياسين ص ٧٣.، اعتمدت في هذا النص على النسخة (م) والتي هي في رأيي أصح من النسخ التي اعتمد عليها المحقق.

[2] د/ سعيد مراد: نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام ص ٣٧ عين للدراسات والبحوث ط أولى ٢٠٠١ القاهرة.

[3] الفارابي: السياسة المدنية ص ٧٩

بإرادة ، والشر الذي يعوق عن السعادة قد يكون شيئا مما هو موجود بالطبع وقد يكون بإرادة''[1] والخير الذي يحدث بالطبع تعطيه الأجسام السماوية وهنا نلاحظ أن الفارابي يربط نظريته في الأخلاق في وجود الخير والشر بالمبادئ العليا وبمسألة الفيض.

وأما القسم الثاني الذي يحدث بالإرادة فقد وضع الفارابي لهما الشروط التي ينبغي توافرها ليقوم الإنسان بعمل الخير وأولها معرفة السعادة بفضل المبادئ التي يعطيها العقل الفعَّال والنزوع إليها أو اشتياقها والسعي إليها ويلاحظ أن المعرفة تلعب دوراً هاماً في حدوث الخير والشر الإرادي ولا عجب فالمتتبع لفكرة السعادة عنده يجد أن الفضائل النظرية والفضائل الفكرية تمثلان اثنتين من الفضائل الأربعة التي إذا حصلهما الإنسان نال السعادة القصوى.

ومن الفضائل الفكرية التي ركز عليها الفارابي في حديثة عن الأخلاق الذهن وجودة الرأي يقول د. ماجد فخري '' يصف الفارابي الذهن بأنه القدرة على مصادفة الحكم فيما يتنازع فيه من الآراء والقوة على تصحيحه كما يصف جودة الرأي بأن الإنسان يكون فاضلا خيرا في أفعاله''[2]

ودور القوة الفكرية هام في تمييز واستنباط النافع لتحصيل غاية ما وتكتمل هذه القوة الفكرية عندما تستنبط أنفع الأشياء.

هذا وتعتبر نظرية الوسط الأخلاقي في فلسفة الفارابي الخلقية ذات أهمية كبيرة وأفرد لها جانبا كبيرا من كتابه التنبيه على سبيل السعادة[3] ويظهر واضحاً مدى تأثره في هذه المسألة بفلسفة أرسطو الأخلاقية فذكر الفارابي أمثلة للأخلاق الوسط وأجاب

---

1 نفس الموضع من المرجع السابق.

2 د. ماجد فخري: فلسفة الفارابي الخلقية وصلتها بالأخلاق النيقوماخية ص ٢٠٣ بحث منشور ضمن الكتاب التذكاري لألفية الفارابي الهيئة العامة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٨٣.

3 الفارابي: التنبيه على سبيل السعادة ص ٥٧ ـ ٦٧.

عن كيفية معرفة الوسط الأخلاقي وبين أن الوسط الأخلاقي أمر ليس بسهل ولكنه أمر عسير ولذا وضع تدريبا للناس ليدركوا الوسط الأخلاقي وحذر من شبيه الوسط الذي يختلط أحيانا على الناس بالوسط وأكد على دور الروية في الوصول للوسط الأخلاقي ، وبين كيف يكتسب الإنسان الأخلاق الجميلة ، كل ذلك لأن هذا الوسط الأخلاقي هو أحد الأسس الهامة الموصلة للسعادة..

خلاصة ونتائج

يمكن لنا أن نستخلص بعض النتائج التي لاحت لنا واضحة من خلال هذا البحث وأبرزها ما يلي:

* المنهجية والترابط بين أجزاء فلسفة الفارابي: فالمطلع على فلسفة الفارابي يلحظ هذا التسلسل المنطقي والترابط المحكم بين مختلف أجزاء فلسفته، رغم أن البحث لم يتطرق لكل فلسفة الفارابي وأعني بالمنهجية والترابط حرص الفارابي في جعل أي جزء من أجزاء فلسفته متصلاً اتصالاً وثيقاً بالأجزاء الأخرى، ويظهر هذا واضحاً في الترابط بين نواحي فلسفته النظرية والعملية وارتباط الجميع بنظريته في السعادة.
* عاش الفارابي على المستوى الشخصي حياة السعادة كما رسم شكلها بعيداً عن الترف المادي واللذات الزائفة مقترباً من العالم العقلي عالم المعرفة محاولاً خلال ذلك أن يعالج مشاكل مجتمعه السياسي وهو بذلك يقرن القول بالعمل ويصب جام غضبه على الجمود والتعصب، ويدعو إلى الانطلاق والتحرر كي تتحقق أسمى مراتب السعادة العليا للإنسان، وهذا جُل أهداف الإسلام حيال الإنسانية جمعاء.
* شكلت فكرة السعادة بمفهومها كغاية الأساس لبناء فلسفة الفارابي النظرية فكانت الأساس للجانب المعرفي خاصة عند تحصيل القسم النظري من الفلسفة، وكذا شكلت الأساس للجانب العملي السياسي والأخلاقي.
* البحث يبرز المكانة الكبيرة للعلم عند فلاسفة الإسلام وخاصة المعلم الثاني الفارابي.
* تأثر الفارابي في أجزاء كثيرة من نظريته في السعادة بالفلسفة اليونانية من خلال قطبيها أفلاطون وأرسطو، وإن كان الرافد الإسلامي لم يختفي عنه تماما.

* ترك الفارابي بنظريته في السعادة أثراً واضحاً في تلامذته أمثال العامري ويحي بن عدي كما ظهر أثره على الغزالي وابن مسكويه وإن كان بيان مثل هذا الموضوع بشكل علمي يحتاج إلى إفراد بحث خاص.
* السعادة عند الفارابي لم تكن سعادة مادية وإنما كانت سعادة عقلية معرفية فلسفية فالفيلسوف وحده يستطيع الاتصال بالعقل الفعال، وسعادة الفيلسوف لا تضاهيها سعادة غيره من الناس، ولا تقارن بها إلا سعادة النبي.
* اقترب الفارابي في بعض الأحيان من موقف الصوفية فعاش على المستوى الشخصي معيشتهم ولبس زيهم ليتجرد من علائق المادة وكذلك في نظرية الفيض نجد وجه شبه بينها وبين موقف الصوفية الذين يعتقدون أن السعادة لا تكون إلا بالعرفان ، ولا تدرك إلا بالإشراق مما يجعل المتصوف يحيا سعادة روحية نتيجة الإلهام الذي يغمر قلبه ، ولكن تصوفه اختلف عنهم في الغالب فقد كان تصوفا عقليا فلسفيا.
* رغم ما وجه من نقد لأجزاء من فلسفة الفارابي كنظريته في النبوة ونظرية العقول العشرة إلا أنه يظل فيلسوفا عظيما ويكفيه أنه اجتهد وحاول بفلسفته أن يبين للناس طريق السعادة وجعل طريقها هو العلم (الفلسفة) حتى يصلوا إلى معرفة الخالق جل وعلا.
* أراد الفارابي بمشروعه السياسي في المدينة الفاضلة أن يؤسس مجتمعاً معرفياً فاضلا حتى ينال السعادة.
* لأن نظرية السعادة عند الفارابي هي الأساس لفلسفته كلها فلم نتمكن من أن نتناول بالتفصيل علاقتها بكل جوانب فلسفة الفارابي وإلا فإن ذلك يحتاج لعرض فلسفة الفارابي كلها وهو ما يضيق به بحث بهذا الحجم.

المراجع

أولاً : المراجع العربية

١. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء تحقيق د. نزار رضا مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥.

٢. ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق قدم له الشيخ حسن تميم دار ومكتبة الحياة بيروت بدون تاريخ.

٣. ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب دار صادر ، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٩٦٨.

٤. أرسطو: كتاب الأخلاق تحقيق د. عبدالرحمن بدوي وكالة المطبوعات الكويت طبعة أولي ١٩٧٩.

٥. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة تحقيق محمد علي النجار الدار المصرية للتأليف والترجمة بدون تاريخ

٦. آل ياسين، جعفر: الفارابي في حدوده ورسومه عالم الكتب بيروت ط أولى ١٩٨٥.

٧. بنعبد العالي، عبد السلام: الفلسفة السياسية عند الفارابي دار الطليعة ط ثانية بيروت ١٩٨١.

٨. الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات عالم الكتب للطباعة والنشر بيروت ١٩٨٧.

٩. الحلو، عبده: الوافي في تاريخ الفلسفة العربية دار الفكر اللبناني ط أولى بيروت ١٩٩٥.

١٠. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح دار الكتاب العربي بيروت ط أولى ١٩٦٧.

١١. الشمالي، عبده: دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها دار صادر بيروت ١٩٧٩.

١٢. شمس الدين، أحمد: الفارابي حياته، آثاره، فلسفته ــ سلسلة الأعلام من الفلاسفة دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠.
١٣. الصاحب ابن عباد،إسماعيل بن عباد: المحيط في اللغة دار الرشيد للنشر بغداد١٩٨١.
١٤. صليبا، جميل: تاريخ الفلسفة العربية الشركة العالمية للكتاب لبنان ١٩٨٩.
١٥. عطوي، فوزي: الفارابي فيلسوف المدينة الفاضلة دار الكاتب العربي بيروت بدون تاريخ.
١٦. عون، فيصل بدر: الفلسفة الإسلامية في المشرق ص ٢٢٧ مكتبة الحرية الحديثة القاهرة ١٩٨٢.
١٧. غالب، مصطفي: الفارابي في سبيل موسوعة فلسفية ص ٩، ص ٣٠- ٣٥- دار ومكتبة الهلال القاهرة ١٩٨٦.
١٨. الغزالي، أبو حامد: كتاب ميزان العمل دار الكتاب العربي للنشر والطباعة والتوزيع بيروت ١٩٧٩.
١٩. الفارابي، أبو نصر: آراء أهل المدينة الفاضلة تقديم د/ طه حبيشي المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة ٢٠٠٢.
٢٠. الفارابي، أبو نصر: رسالة فيما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة نشر فريدريش ديتريش ألمانيا ١٩٨٢.
٢١. الفارابي، أبو نصر: عيون المسائل – مطبوع ضمن كتاب المجموع مطبعة الخانجي نشر دار السعادة القاهرة ط أولى ١٩٠٧.
٢٢. الفارابي، أبو نصر: فصول منتزعة تحقيق فوزي متري نجار دار المشرق بيروت ١٩٧١.
٢٣. الفارابي، أبو نصر: كتاب التنبيه على سبيل السعادة تحقيق جعفر آل ياسين دار المناهل بيروت ١٩٨٧.
٢٤. الفارابي، أبو نصر: كتاب السياسة المدنية قدم له د/ علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال بيروت بدون تاريخ.

٢٥. الفارابي، أبو نصر: كتاب تحصيل السعادة تحقيق جعفر آل ياسين دار الأندلس بيروت ١٩٨١.

٢٦. الفارابي، أبو نصر: المجموع دار السعادة القاهرة ط أولى ١٩٠٧.

٢٧. فخري، ماجد: فلسفة الفارابي الخلقية وصلتها بالأخلاق النيقوماخية بحث منشور ضمن الكتاب التذكاري لألفية الفارابي الهيئة العامة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٨٣.

٢٨. الفيروزبادي، مجد الدين: القاموس المحيط دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت بدون تاريخ.

٢٩. كوربان، هنري: تاريخ الفلسفة الإسلامية ترجمة نصير مروة وحسن قبيسي منشورات عويدات بيروت بدون تاريخ.

٣٠. مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي تصدير د. إبراهيم مدكور هيئة المطابع الأميرة القاهرة ١٩٨٣.

٣١. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط إصدار مجمع اللغة العربية القاهرة ط ثالثة بدون تاريخ.

٣٢. مراد، سعيد: نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام عين للدراسات والبحوث ط أولى القاهرة ٢٠٠١.

٣٣. مرحبا ، محمد عبد الرحمن: من الفلسفة اليونانية على الفلسفة الإسلامية منشورات عويدات ط الثالثة بيروت ١٩٨٣.

٣٤. نصر، محمد عبد المعز: الفارابي ونظم الحكم في القرن العشرين بحث منشور ضمن كتاب "أبو نصر الفارابي في الذكرى الألفية لوفاته" تصدير د/ إبراهيم مدكور الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٣.

٣٥. وافي، على عبد الواحد: المدينة الفاضلة للفارابي نهضة مصر القاهرة بدون تاريخ.

ثانيا : المراجع الأجنبية

1. Black, deborah L.: *Al-Farabi,* in Seyyed Hossein Nasr and Oliver Leaman (ed.) *History of Islamic Philosophy,* Routledge London 1996.
2. Dieterich, Friedrich: *Al Farabi's Philosophische Abhandlungen*, Osnabrueck 1982.
3. Horani, F. George: *Essays on Islamic philosophy and science,* State university New York Press 1975.
4. Laman, Oliver: *An Introduction medieval Islamic philosophy*, Press Cambridge.
5. Mahdi, Muhsin: *Remarks on Alfarabi,s Attainment of Happiness,* in George F. Hourani (ed.) *Essays on Islamic philosophy and science,* State university of new York press 1975.
6. Netton, Ian Richard: *Al Farabi and his School,* London 1992.